العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الولي « بيروت »

بين ايدي الناس الآن كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرءان » من تاليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدتني امام **محاولة جريئة لدراسة القرآن** الكريم باسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثار اوارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار **التناقض المزعوم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات العقيدة الدينية ، القديمة** . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطربت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان **هذه الحملة ليست وليدة العصر** الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مالوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب تتفاوت من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين القلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الآن ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي ارست قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداء الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بقافلة من الالقاب العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا الاسترسال ، من شانه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان ناخذ به نفسنا الآن، وهو الموضوع الذي اردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي قصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات **العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحت ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي التحفت بها** ؛ بين حين وحين بعض آيات القرءان الكريم في اثناء دعوتها الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه، لابد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط **اغراض القرءان الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من اراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك** وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديدا في بابه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي،في دراسة القرءان الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاختراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرءان الكريم كان اسبق من كل ما عداه من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاختراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

ففي أواسط العقد الثالث من النصف الاول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن احد المؤلفين المصريين الذى **حاول تفسير القرءان الكريم تفسيرا علميا يتجاوب فيه مع روح العصر** الذي تطورت فيه الافكار الانسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، او يغوص بهذا القلم ، الى داخل أحشاء الارض باحثا فى هذه الاحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس ان الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، احاط به كتاب الله فى كلامه الازلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ **طنطاوي جوهري** ، الذي كان استاذا فى دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ (1940 م) فقد صنف هذا الشيخ كتابا تحت عنوان : « **الجواهر فى تفسير القرءان الكريم** » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عددا ، على تفسير القرءان الكريم « تفسيرا ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد اخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرءان الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهري وملكت عليه احاسيسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الالهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فاطلق قلمه عبر كتابه بنداء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا أمة الاسلام ، آيات معدودات فى الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات ، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الاسلام .. هذا زمان رقيه . ياليت شعري ، لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث ولكنني ، اقول ، الحمد لله ، الحمد الله ، انك تقرأ فى هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراستها افضل من دراسة علم الفرائض ، لانه فرض كفاية ، أما هذه ، فانها للازدياد فى معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. ان هذه العلوم التي ادخلناها فى تفسير القرءان ، هي التي اغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الاسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلا فى حماسته واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتقائه ، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرءان بل هي علوم لفظه ، وما نكتبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي اظهرها الله فى الارض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، فى سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه بلسانك فتقرأ كما قراه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والعجائب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر فى هذا التفسير ، وما لم يذكر، من البيان الذي اكد الله انه يظهره لامة الاسلام»

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتنع به ، فى تحميل كل آية من كل سورة فى القرءان الكريم من التاويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

واذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم فى استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرءان الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية فى توحيد الله عز وجل وبيان اغراض الشريعة فى ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهري قد انفق حياته فى تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بعرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة، بل انه يتوجه باللائمة على اولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الاسلام عشرات الالوف من الكتب الاسلامية فى علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له فى القرءان الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التاليف فى علم الفقه ، وقل جدا فى علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ **سبعمائة وخمسين آية صريحة** ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز فى عقل او شرع ان يبرع المسلمون فى علم آياته القليلة ، ويجهلوا عاما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا فى الفقه ، فلنبرع نحن الآن فى **علم الكائنات** ، لنقم به لترقي الامة » .

واذا نحن اقبلنا على قراءة كتابه « الجواهر فى تفسير القرءان » نجده يحشد فى هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر

لطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقارئه ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تعوزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء عن افلاطون في فلسفته او بما ردده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في ارائه فانه لا يتورع من الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرءان » بنفس الاسلوب الذي اعتمده الشيخ طنطاوي جوهري في كتابه « الجواهر في تفسير القرءان » حتى يكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدرسان القرءان الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروة يؤكد في كتابه المذكور ان **« ميزة القرءان الكبرى انه اورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »**

ومثلما فعل الشيخ طنطاوي جوهري حين احصى في القرءان الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الآيات التي تحتوي على مبادىء العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الايات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرءانية ومقدار ورودها ووجودها في القرءان لتبين لنا اكثر من عشر الآيات القرءانية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

الرياضيات	61 آية
الفيزياء	64 آية
الذرة	5 آيات
الكيمياء	9 آيات
النسبية	62 آية
الفلك	100 آية
المناخيات	20 آية
المائيات	14 آية
الرياضيات	57 آية
علم الفضاء	11 آية
علم الحيوان	12 آية
علم الزراعة	21 آية
علم الاحياء	32 آية
الجغرافية العامة	73 آية
علم السلالات البشرية	10 آيات
علم طبقات الارض	20 آية
علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية	36 آية
وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم	64 آية

وجريا على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعشت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول ريتوينورت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . نجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندري اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دائما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدد القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في عداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل التنطع فى جر آيات القرءان الكريم الى ساحة الابحاث العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة فى التجديد بما لا طائل منه لصالح القرءان واهدافه الدينية والدنيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذمروه واحزابه فى هذا الصدد ، انما هو فى الواقع ، رد **فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم وتطور وازدهار فى هذا العصر** . كما انه يعتبر بمثابة جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض الافهام السقيمة التي القت على كاهل الدين الاسلامي وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير عن ادراك شاو الحضارة الغربية فى مستواها العلمي الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن فى اوائل الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة هي :

اولا : **ان نثبت للمتزمتين والمتعصبين ضد طلب العلوم الحديثة ، أن القرءان قد دعا وشدد فى طلب جميع العلوم (الدينية والطبيعية)** بلا استثناء ، ولذلك فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا ذريعا فى توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا **الدين قائم على العلم وان آيات القرءان وتعاليمه تنسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث** فى ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة ولنؤكد ان العلم الذي دعا القرءان الى طلبه ، والذي اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشرعية فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان تراث الاسلام فى حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل على ما نقول :

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا الفصل اعلن قائلا :

« وانني فى محاولتي هذه ساقتصر على اهم واخطر مواضع العلم الحديث وهي **الذرة والفضاء والنسبية فى الباني لنفي التناقض بين العلم والدين**».

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو فى ذرة حماسته لاثبات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين معاني الايات القرءانية، لم ينس ان يشير الى آخرين من العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى انطباق وتوافق هذه الآيات او بعضها مع مواضيع العلم الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهري (الذي تناولناه فى حديثنا هذا من قبل) وكذلك الدكتور احمد زكي فى كتابه « مع الله فى السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة التحديات العصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القرءان الكريم فان **الاسلوب الذي التزمه فى كتابه للتعبير عن هذه المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها الله فى هذه الايات** حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادىء نظرية تخضع فى طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله بالامس ، وان ينفي فى الغد ما اثبته اليوم وهكذا تبعا لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو فى طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها الانسان فى مسيرته الحضارية غير المحدودة فى هذه الحياة .

وان من يمعن قراءة المقدمة التي استهل بها الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بأن الكاتب الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القرءان الكريم فى حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل انه اختار من آثار المرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم وجعله فى مطلع كتابه وقال : « اعجبت بدقة وعمق بحثه ورايت من الواجب ان انقل للقارىء بعضاً ما كتبه

هذا الفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير الذي اعالجه » .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على اقناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم يعلوا فى شتائهم للنبي ورسالته الى حد اتهامهما بانهما ضد العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده فى اقناع قارئه بموضوعه الاساسي، وهو توافق الآيات الكريمة مع ما حققه الانسان المعاصر فى حقل العلوم الطبيعية، لو انه حصر جهوده فى هذا الموضوع فقط لكان وفر على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى الصدر ، ساير ذلك الذى قال فى كلمته ان علماء الدين يحماون مسؤولية عدم تفسير النصوص القرءانية والسنن المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من رأى الشيخ المذكور بان **الاطلاع على ظروف علماء الدين الاسلامي يكشف انهم بذلو اضعاف امكاناتهم فى سبيل هذه الغاية الشريفة وقدموا عشرات الكتب بهذا الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتبا فى خواص العلم التجريبية زائدا على تاليف كتب تحاول عرض النصوص والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة فى حقل الفلسفة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .**

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا الصدد بانه لا يوجد كتاب فى طول الارض وعرضها من بداية التاريخ حتى اليوم ، خدمه اهله من العلماء مثلما خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات تكاد تنوء باحمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيان دوره الجبار فى توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى الكتاب الذي الفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي صدر مؤخرا واعيدت طباعته مرارا ، من شأنه على ما نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بان اهل العلم الصحيح من شيوخ المسلمين لم يبخلوا فى اداء واجبهم نحو القرءان الكريم فى الحاضر كما ان السلف الصالح من امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك فى الماضي فى القيام بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين هؤلاء واولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته وعلى طبيعته فى التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارتها موجة التحديات العصرية الوافدة علينا من آفاق العالم الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، **وليس من مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية** ، او وضع اسس للانتاج الثقافي البشري ، **فالقرآن الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل** الذي هو مبدأ العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة باحكامه الفردية والاجتماعية وتعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعود لاؤكد ان **تناول القرآن لهذه المباحث (اى العلوم الكونية) هو استطراد** ذكر وامثال ، وليس من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ، شأن الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ الصدر ما يزيده بيانا وايضاحا فوق ما هو عليه من البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان ياتي القرآن الكريم ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اى دين ، هي ان ياخذ البشر بالمبادىء التوجيهية التي ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما فيه انضباطهم وصلاحهم فى هذه الحياة الدنيا . وليس من مهمة الدين ، فى قليل او كثير ، ان يتناول العناصر التي يتالف منها الكون فى مادته المجردة الا فى حدود المقدار الذي يضرب به المثل للعظة والاعتبار والتامل .

ومثل الكتب السماوية فى هذا ، مثل الدساتير التي يضعها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات فى نطاق الروابط التي تحكم اواصرهم وتشدهم الى العيش بعضهم مع بعض دون اى تناقض ولا اصطدام .

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرءان وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قالـــه في امثالها غيرنا من جهابذة العلماء المسلمين امثال **الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره «المنار» ينعي على من تاثروا في تفسيرهم بالنزعة العلمية المادية.** وان الشيخ رشيد **قد نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة** ، واعتبـــر ان هذا العمل من شانه ان يصرف الانسان عن القـرءان وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلـدوا الفخر الرازي في طريقته من المفسرين المعاصرين. فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلـده بعض المعاصرين (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهري) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلـة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارىء عمـا انـزل الله لاجله القرءان .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسريـن الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرءان الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعية . فاننا لا نرى باسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يباسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتـم معشـر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريـات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيـل المباسطة ، لذلك فورا ! اجل فان اسم هذه الشركـة ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قائما » فكانت تكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتـى اليـوم ...

وبعد ، فلقد اطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرءان » حتى كدنا نوهـم قارئنـا بان الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنغمط هذا المؤلف العالم حقه من التنويـه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجحد له فضله في الانكباب على دراسة كتـاب الله سوره سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا **الكتاب الفذ الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الغزيرة** التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما اليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شبـاب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بعـد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بان هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين اسماء فطاحل العلمـاء المسلمين الذين اضافوا لتراثنا القومي صفحة مشرقة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريـخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهـل بمكانته العلمية وان تفاخر بذهنه المتفتح اكثر الامـم تقدما وابعدها شاوا في مضمار الحضارة والتطـور والازدهـار .

واذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فاننـا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بان يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفاياته في علوم الذرة والفزياء والكيمياء . هذه العلوم التي اصبحت اليوم ، ميدانـا تتزاحم فيه الامم الحية لاحراز قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من اجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية.